جمالية اللسان في اللغة والحياة

أ. د. حسين جمعة

ما امتدح شيء كما امتدح اللسان؛ وجمال اللسان في فصاحته؛ والأجمل منه الصواب في قول الحق والارتقاء في التعبير عن قضايا المعرفة... ولكن لما صار الكلام شينا للسان في اللغة والمعرفة والحياة عزمت على الكتابة في موضوع «جمالية اللسان في اللغة والحياة». فإذا استقام اللسان – كما أرى – استقام كل شيء فينا، وإذا اعوجّ اعوججنا. ولهذا سأبدأ بمفهوم جمالية اللسان في اللغة؛ وأعقبه بجماليته في الحياة؛ واقفاً في البداية عند قيمته ومنزلته.

– جمالية اللسان في اللغة:

يعد اللسان من أهم أدوات التعبير عن الذات والمجتمع في الحياة والفن والأدب والنقد؛ بل في قضايا المعرفة كلها. وهو الوسيلة اللغوية الأعظم نفعاً من بقية اللغات التي اخترعها الإنسان لذلك؛ كلغة الإشارة والرمز والإيماء... والرسم والنّحت والنقش... ولغة الأيدي والعيون والأنف والجسد... ولغة الألوان والتصوير والموسيقى...

فمنذ أن خلق الله آدم وعلمه الأسماء كلها؛ خَلق معه المعرفة والكون وجعله ناطقاً دون مخلوقاته ليعبر عما يحس به ويرى ويسمع... ولما بث منه رجالاً كثيراً ونساءً بلبل ألسنتهم لتكون معجزة على الخَلْق؛ لقوله تعالى:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ومن آياته خَلْقُ السموات والأرض، واختلافُ أَلْسِنَتِكم وألوانِكم﴾[١].

ولهذا كان إرسال الرسل والأنبياء بألسنة شعوبها؛ لقوله تعالى: ﴿وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسانِ قومهِ ليبين لهم﴾[٢].

ومن هنا نفهم إشارة أبي نواس في قوله الذي يمدح به أحد رجالات مصر؛ حين رغب في استعارة ألسن الأمم ليمدحه فيها[٣]:

كَلَّ لساني عن وصفِ مَدْحِك يا بْـ ـنَ الصِّيد واستُضعِفَتْ قُوى هممي

ولستُ إلا مُعذَّراً لو استَنْـ ـطَقْتُ فيه عن أَلْسُنِ الأُممِ

فاللسان غدا اللغة التي يعبر بها كل قوم عن مقاصدهم وأغراضهم ومشاعرهم؛ وغدت معرفة ألسنة الآخرين واحدة من قضايا المعرفة اللغوية؛ وسبيلاً إلى معرفة الآخر؛ ولهذا قال المتنبي في وصف الجيش لكثرة الأمم المتغايرة الألسن فيه[٤]:

تجمَّعَ فيه كُلُّ لِسْنٍ وأُمَّةٍ فما تُفْهِمُ الحُدَّاثَ إلا التراجمُ

فاللسان أداة نطق اللغة؛ فصار اسماً لها؛ مثلما أصبح الناطق علماً على الإنسان من دون المخلوقات؛ فإذا أصبح بليغاً سمي بالمِنْطيق كما في قول حميد بن ثور[٥]:

اليومَ تُنْتَزَعُ العصا من رَبِّها ويلوكُ ثِنْيَ لسانِه المِنْطيقُ

بل إن اللغة العربية ما عرفت في القرآن إلا باسمه، ولم يرد فيه لفظ اللغة دلالة عليها؛ كقوله تعالى: ﴿وإنه لتنزيلُ رب العالمين، نَزَلَ به الرُّوحُ الأمينُ، على قلبك لتكونَ من المنذِرين بلسانٍ عربيّ ٍ مُبين﴾[٦].

وكان الشعر المجال الفني الأول للسان العربي، فهو مادة اللغة وجمال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الصورة، وبديع الفكرة؛ وهو ديوان العرب إليه يصيرون، وعنه يصدرون... وهو مادة لغوية كبرى لتفسير القرآن الكريم. وكان الرائد في هذا المجال عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) حين قال: «الشعر ديوان العرب؛ فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه»(٧).

وحين نشأت الدراسات القرآنية المتعلقة بالقراءات القرآنية، وظهر علم التجويد كان العرب يضَعون بعملهم هذا أول أساس لمفهوم علم «اللسانيات» الذي اشتُهر في عصرنا... وإذا كان هذا العلم قد تطور بعيداً في الغرب، وغاب عنا فإننا نذكر أنه ليس العلم اللغوي الوحيد المرتبط باللسان، والذي سبق إليه أجدادنا الأفذاذ؛ وكتاب (العين) للفراهيدي، و(الكتاب) لسيبويه، و(الخصائص) لابن جني من أعظم الأدلة على ذلك.

وما من أحد يشك في أن قصائد الشعر قد خَلَّدت أصحابها؛ ولكنها خلَّدت في الوقت نفسه اللسان العربي الفصيح؛ وعلى ذلك قول كعب بن زهير في أبيه(٨):

وأدركْتُ ما قَدْ قال قَبْلي لدَهْرِهِ زهيرٌ، وإنْ يَهْلِك تُخلَّدْ نواطقُهْ

وكذلك خَلَّد الأجداد في مؤلفاتهم المعجمية لغتنا؛ وأثبتوا ثراء دلالتها وقدرتها على استيعاب أي شيء نحتاج إليه؛ سواء في طبيعتها، أم في طريقة بنيتها وقوانينها المرنة على استقبال كل وافد إليها من اللغات الأخرى وإخضاعه لمقاييسها... مهما تخلَّفَ أبناؤها عن ركب التقدم الحضاري...

ولا شيء أدل على هذا مما نراه فيها عن مادة (اللسان)؛ فاللسان – لغة – عضو النطق، وجارحة من جوارح الجسد... وهو لفظ يُذَكَّر ويؤَنث؛

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فإذا أريد الكلمة واللغة والرسالة والمقالة؛ ونحو هذا مما يؤنث أُنّثَ؛ كقول أعشى باهلة في كلمة سيئة أتته[٩]:

إنّي أتتني لسانٌ ما أُسَرُّ بها من عَلْوَ، لا عَجَبٌ فيها ولا سَخَرُ

وكقول شاعر آخر حين أراد بها الرسالة[١٠]:

أَتتْني لسانُ بني عامر أَحاديثُها بعدَ قَولٍ نُكُرْ

وإذا استعمل لفظ اللسان على معنى الكلام ذُكِّر، وهكذا ورد في القرآن الكريم سواءً جاء مفرداً أم مجموعاً؛ كقوله تعالى: ﴿فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون﴾[١١]، وعنى به كلام القرآن الكريم، ولم يَرِد فيه مؤنثاً. وقد جاء مذكراً في قول الحطيئة[١٢]:

نَدِمْتُ على لسانٍ فات منّي فليتَ بيانَه في جَوْفِ عِكْمِ

واللسان: مفرد، والجمع أَلْسِنة - بكسر السين - إذا ذُكِّر، وأَلْسُن - بضم السين - إذا أُنّث؛ والقوم لُسْن، والرجل لَسِن؛ إذا كان فَصيحاً؛ والمرأة لَسِنة. واللسان - أيضاً - مصدر؛ والفعل لَسَنَ (بكسر السين وفتحها) والمضارع يَلْسُن لَسْناً ولَسَناً ولِسْناً ولُسْناً... وإذا أريد باللسان اللغة فهي (لِسْن) كما ورد عليه قول المتنبي قبل قليل.

وقد غنيت الاشتقاقات في مادة اللسان؛ فاتسعت الدلالة؛ فالفعل لَسَنه: كلّمه؛ ولَسَنَه يَلْسُنه لَسْناً: أخذه بلسانه كقول طرفة بن العبد[١٣]:

وإذا تَلْسُنني أَلْسُنُها إنّني لسْتُ بمَوْهونٍ فَقِرْ

ولاسَنَه: ناطقه؛ وأَلْسَن عني: أبلغ؛ وأنذر، وذَكّر، والإِلْسَان: الإبلاغ؛ كقول عدي بن زيد[١٤]:

بل أَلْسِنُوني سَراةَ العَمِّ إنكمُ لستُمْ من المُلْكِ والأَبْدالِ أَغْمارا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتَلَسَّن عليه: كذب، وتَقوَّل الأقاويل، ورجل مَلْسون: كذَّاب، وهو حُلْو اللسان بعيد الفَعال؛ يُقَرِّب لك البعيد ويبعد القريب في القول دون الفعل، كقول عُمارة بن عَقيل بن جرير(١٥):

أَمَلْسونٌ خَليلُك من عُقَيلٍ كما القُرشيُّ مَلْسونٌ ظَنونُ

– وسمّي اللسان بأسماء كثيرة لبيانه ونفاذه وحدته، وقيامه بما لم يقم به السيف؛ منها (المِذْوَد) كما في قول حسان بن ثابت(١٦):

لساني وسيفي صارمان كلاهما ويبلغ ما لا يبلغ السيف مِذْوَدي

و(المِقْوَل) و(المُخَسَّل) أو (المُحَسَّل) كما في قول العجاج(١٧):

ما كنتُ من تلك الرِّجال الخُذَّلِ ذي رأيهمْ والعاجزِ المُخَسَّلِ

عن هَيْجِ إبراهيمَ يوم المَرْحَل وجَعْلِ نفسي معه ومِقْوَلي

وأخذ اللسان أسماء أخرى من صفاته، فهو اللَّقْلَق كما في قول الرسول الكريم: «مَنْ وقى شر لَقْلَقِه وقَبْقبِه وذَبْذَبِه فقد وجبت له الجنة»(١٨). وهو الذَّليق والحليف والصَّنَع... لفصاحته وحسن لهجته وقوته، وحدّته... ولهذا امتدح الخطيب المُفَوَّه والمِصْقَع كقول الشاعر(١٩):

خِرْق إذا رَقِيَ المنابرَ مِصْقَعٌ ويَزينُها بفَصاحة وبَيانِ

وارتبطت فصاحة اللسان بجهارة الصوت عند صاحبه، فقيل: رجل جهير؛ أي بليغٌ حسنُ اللسان حديدُه؛ كقول الشاعر(٢٠):

يكسو المنابرَ والأَسِرَّة بَهْجةً ويزينها بجَهارةٍ وبَيانِ

والناطق: البليغ اللسان؛ ولهذا أُطلق على الإنسان (الحيوان الناطق)... فإذا وصف الناطق بالمُرَقِّش دخل في كلامه تزيين القول بالباطل، كقول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحارث بن حلزة[٢١]:

أيهـــا النـــاطق المُرَقِّـــش عنـــا عنـد عمـرٍو، وهـــل لـــذاكَ بَقـــاءُ

بهذا كله اختزن اللسان جماليات شتى حفظتها اللغة لنا؛... وإذا كنا قد أشرنا إلى شيء منها في باب الفصاحة والبلاغة كان لزاماً علينا أن نشير إلى ما تعرض له اللسان من أمراض وعيوب خَلْقية ومُكتسبة...

ففي اللسان (الصُّرَدان) وهما عرقان أخضران يستبطنان اللسان، وفي أصلهما عُقدتان يقال لهما العُنْدُبَتان، والعُمَيْمِران عظمان في أصله...[٢٢] فإذا أصيبا بعلّة مَنَعت صاحب اللسان من الفَصاحة، وإلا فهو ذَلِقٌ حديد، كما في هجاء يزيد بن الصَّعِق للنابغة الذبياني[٢٣]:

وأَيُّ النـاسِ أَغْـدَرُ مـــن شـــآم لـــه صُـــرَدَانِ مُنْطَلِـــقُ اللســـانِ

- ومن أمراض النطق في اللسان (الحُكْلَة) وهي كالعُجْمة، وصاحبها لا يُبين في الكلام؛ ومثلها (الغُتْمة والبُهْمة - والمذكر منهما الأغتم والأبهم)... والطُّمْطماني واللَّخْلخاني من لا يُفْصح ولا يَبين كلامه... والجَلْجال: مَنْ يردد الكلمة في فمه فيثقل لسانه بإخراجها، والأَلْثغ والأُنثى لَثْغاء، والأَلْيَغ مثله[٢٤]، وهو من لا يُتِمُّ رفع لسانه في الكلام.

ومما قاله أبو نواس في الأَلثغ[٢٥]:

وابِـــأبي أَلْثـــغَ لاجحْتُـــهُ فقـــال في غُنْـــج وإِخْنـــاثِ

لمـــا رأى مـــني خـــلافي لـــه: كـم لقـيَ النـاثُ مـنَ النّـاثِ!!

والأَبكَم، والأنثى بَكْماء، وهو العَيُّ بالجواب، والعيِيُّ من يَعْجِز لسانه عن النطق فيردد الكلام في فيه دون إبانةٍ، والصمت أفضل له كما قال مالك ابن سلمة[٢٦]:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي الصمت سِتْرٌ للعَيِيّ وإنما صحيفةُ لُبِّ المرءِ أن يتكلَّما

ونذكر في هذا المقام أن رجلاً يقال له (باقل) صار مثلاً في العي، بينما صار سحبان وائل مثلاً في البيان، وإليهما أشار حميد بن ثور حين وصف رجلاً جاءه فظنه لما رآه كسحبان، فلما فتح فاه ليتكلم كان كأنه باقل عِيّاً وحَصَراً، فقال(٢٧):

أَتانا ولم يَعْدِلْه سحبانُ وائلٍ بَياناً وعلماً بالذي هو قائلُ
فما زال عنه اللَّقْمُ حتى كأنَّه مِنَ العِيّ لَمَّا أَنْ تكلَّمَ باقلُ

أما الخَرَس فهو عدم النطق؛ لمرض، أو لعلة أخرى فطرية أو طارئة، خَرِسَ خَرَساً، والخُرْس: الصُّمُّ، وهو جمع، كقول ليلى بنت حسان بن ثابت(٢٨):

مقاويلُ بالمعروف خُرْسٌ عن الخنا كرامٌ يُعَاطون العشيرةَ سُؤْلَها

والأَخرس للمذكر، والأُنثى خرساء، وعليه قول أبي نواس في صفة الأطلال(٢٩):

رَبْعُ البِلى أَخْرسُ، عِمِّيْتُ مُسْتَلَبُ المَنْطقِ، سِكِّيتُ

واللسان المُفْحَم والفَحوم: العَيِيُّ؛ وقيل: هو الذي لا يتكلم أصلاً؛ كالأخرس كقول حسان بن ثابت(٣٠):

لسانك مُفْحَمٌ، ونَداكَ دُوْنٌ وإنَّ هِجَاك لا يَعْدُو قَفاكَا

– ومن عيوب النطق في اللسان (الفَدَامة): وهو ثقل اللسان بالكلام؛ ورجل فَدْم وامرأة فَدْمة؛ ومثله (الأَلَفُّ) للرجل و(لَفَّاء) للأنثى... على حين أن (الرُّتَّة) هي ترداد الكلام في الحنك، فلا يكاد يخرج... أما (التَّمتام) فهو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مَنْ ثقل كلامه في ترديد التاء، كقول ربيعة الرقي[٣١]:

ولا يَحسِبُ التَّمْتام أني هجوتُهُ ولكنني فضَّلْتُ أهلَ المكارمِ

والفأفأة ومثلها الثأثأة، هي إخراج الكلمة إلى الشفاه ثم ردها مراراً، فلا يفصح بها صاحبها... ورجل فأفاء، وثأثاء، وامرأة فأفاءة وثأثاءة... واللَّوْث: عدم إخراج الكلام إلا بعد جَهد شديد... ورجل أَلْوث وامرأة لَوْثاء... والعَقْد: انعقاد اللسان في الكلام لعلة، أو لغيرها... والرجل أَعْقد والمرأة عَقْداء؛ والعُقْدة: حُبْسة في النطق. وفي كتاب الله ما يفسر هذا على لسان موسى حين دعا: ﴿واحلُلْ عُقْدةً من لساني﴾[٣٢]. والنُّبُوُّ في الكلام: عدم مطاوعته، ومزايلته عن لسان صاحبه وابتعاده عنه... فيكِلُّ اللسان ويتعب؛ كقول حسان بن ثابت[٣٣]:

لعَمْرُ أبيكِ الخَيْرِ يا شَعْثَ ما نبا عليَّ لساني في الخُطوبِ ولا يدي

فالنبوُّ من نبا ينبو، ومثله الإرتاج من أُرتج وارتجَّ... فإذا استُغلق الكلام على اللسان قيل أُرتج عليه. وربما أُرتج على البلغاء كسيدنا عمر؛ الذي استغلق عليه اللسان في الصلاة[٣٤]، والخطيبِ الفارسِ الشاعر ثابت قُطْنة. وكان ثابت صعد المنبر مرةً فرام الكلام فتعذر عليه؛ فقال: سيجعل الله بعد عسر يسراً؛ ثم أُرتج عليه وعَيَّ بياناً؛ فقال: وأَنْتم إلى أمير فعَّال أَحوجُ منكم إلى أَميرٍ قَوَّال وأنشد:

وإلاَّ أَكُنْ فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جَدَّ الوغى لخطيبُ

ونزل. فبلغت كلماته هذه خالد بن صفوان؛ فقال: والله ما علا المنبر أخطبُ منه في كلماته هذه[٣٥].

والاستعجام شبيه بالإرتاج من بعض الوجوه؛ فهو حُبْسة في اللسان،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وعدمُ إفصْاحٍ وبيانٍ في الألفاظ والحروف، وعدم قدرة على بيان مراد صاحبه... وقد يكون خَرَساً... والرجل أَعْجم وأَعْجمي من العرب وغيرهم، والأنثى عَجْماء. وقد أنشد رؤبة فيمن لا يحسن إنشاد الشعر فقال[٣٦]:

والشعر لا يَسْطِيْعُهُ مَنْ يَظْلِمُهْ يُرِيدُ أَنْ يُعْرِبَهُ فيُعْجِمُه

واستَعجمت الأطلال عيت جواباً وخرست كما في قول امرئ القيس[٣٧]:

صَمَّ صَدَاها، وعفَا رسْمُها واستعجمت عن مَنْطقِ السائل

وقال العجاج فيمن لا يحسن الكلام؛ في معرض تشبيهه للزِّق المحشو باللبن بالشيخ المعمم[٣٨]:

يَحْسِبُه الجاهلُ ما لم يعلما شيخاً على كُرسيِّهِ مُعَمَّمَا
لو أَنَّه أَبانَ أو تكلّما لكان إيّاهُ ولكنْ أَعْجَمَا

وما دمنا نتحدث عن الاستعجام فلا يضيرنا أن نسوق – في هذا المقام – ما وقع بين حماد الراوية وأبي العطاء السنديّ؛ فقد دخل أبو العطاء على حماد وصحبه فقال لهم: «مرهباً مرهباً، هياكم الله!! فقال له حماد (الراوية): كيف بَصرك باللُّغَز يا أبا عطاء؟ قال: هسن»[٣٩].

ويبدو لي أن لغة الاستعجام هذه قد شاعت على ألسنة الناس في أيامنا... فما أكثر الذين يبدلون أصوات حروف بأصوات أخرى في غير موضعها فنسمع اللزيز مكان اللذيذ، والسأسأة مكان الثأثأة... وهلم جرا. وما يقع في ألسنة الناس اليوم لا يدخل في ظاهرة الترقيق أو التفخيم، ولا ظاهرة الإعلال والإبدال... ولا ظاهرة التصحيف والتحريف... ولا يمت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بأي صلة لما عرف باللهجات العربية التي تناولها الدارسون في أبحاثهم، وهي التي رصدها المرحوم الدكتور عبد العزيز مطر في بحثه (البحوث المعاصرة في اللهجات العربية)[٤٠]، وكان مجمع اللغة العربية بدمشق قد استحدث برنامجاً سماه: «عثرات الأقلام»[٤١]، في وقت مبكر جداً.

ومن هنا ننتقل إلى جمالية اللسان في الحياة.

- جمالية اللسان في الحياة:

اللسان مركب ذلول[٤٢]، للإنسان إن خيراً فخير وإن شراً فشر؛ فهو الميزان الدقيق في الحكم على صاحبه؛ ولهذا قيل في المثل: «مقتل الرجل بين فكيه»[٤٣]، وكم قتل اللسان صاحبه[٤٤]، ولهذا قال صالح بن عبد القدوس[٤٥]:

وإنَّ لسانَ المرءِ مفتاحُ قلبِه إذا هو أبدى ما يُجِنُّ من الفَمِ

فاللسان خلقه الله مادة للتذوق ووسيلة للنطق والبيان عما يحوك في الصدر ويخطر في البال من قضايا المعرفة، وغيرها. لهذا دعا إبراهيم ربه أن يجعل لسانه لسانَ ثناء؛ فقال سبحانه: ﴿واجعل لي لسان صِدْقٍ في الآخرين﴾[٤٦]،... فإذا نطق أصاب؛ فجمال الرجل فصاحة لسانه[٤٧]. وقد قال زهير في هذا المقام[٤٨]:

وكائنْ ترى مِنْ صامتٍ لكَ مُعْجِبٍ زيادتُه أو نقصُه في التكلم

لسانُ الفتى نِصْفٌ ونصفٌ فؤادُه فلم يَبْقَ إلا صورةُ اللحم والدم

وإن سَفاه الشيخِ لا حِلْم بَعْدَه وإنَّ الفتى بعد السَفاهةِ يَحْلُم

ولما كانت للسان هذه المنزلة في حياة الناس قديماً وحديثاً فإن الله

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خَلَق له ثلاثة حُرّاس؛ العقلَ والأسنانَ والشفتين؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نجعلْ له عينين ولساناً وشفتين وهديناه النَّجْدين﴾(٤٩).فإذا لم يخزن المرء عليه لسانه ندم كما قال امرؤ القيس(٥٠):

إذا المرءُ لم يَخْزُن عليه لسانَه فليس على شيءٍ سواه بخَزَّانِ

وقال صالح بن عبد القدوس(٥١):

واحفظ لسانَك أن تقول فتُبْتلى إنَّ البلاءَ مُوَكَّلٌ بالمنطقِ

وهذا البيت مستمد من حديثين لرسول ا لله ﷺ الأول «البلاء مُوَكل بالمنطق» والثاني: «أحب الأعمال إلى ا لله حفظ اللسان»(٥٢). ولكن بعض القوم لا يرعوون للمنطق، ويظنون أنهم يصيبون في كل ما يقولون، وفيهم قال زهير(٥٣):

وذي خَطَلٍ في القول يَحسِبُ أنَّه مُصيبٌ فما يُلْمِمْ به فهو قائلُهْ

بينما يدعو العاقل على نفسه إذا جرى لسانه بالسوء، كما قال امرؤ القيس في لسانه(٥٤):

وغيرُ الشقاءِ المُستبينِ فليتني أَجَرَّ لساني يومَ ذلكُمُ مُجِرْ

فاللسان ينكأ الجراح ويغلظ القلوب، ويثير العداوة بين الناس، ولا يمكن للنفوس أن تهدأ أو تغفر لمن أخطأ بحقها كما قال لبيد بن ربيعة(٥٥):

لستُ بغافرٍ لبني بَغِيْضٍ سَفَاهتَهُم ولا خَطَلَ اللسانِ

ولهذا كله فإن العاقل من وضع لسانه في الذب عن المكارم والدعوة إلى الفضائل كما قال زهير صفة شعره(٥٦):

وذَبِّي عن مآثرَ صالحاتٍ بما لي والعوارمِ من لِساني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وإذا ما أكره الحليم على مقابلة لسان السفيه، وما يلقيه من الأذية فعليه ألا يقابله بالمثل كما قال ذو الإصبع العدواني[٥٧]:

ولا لساني على الأدنى بمُنطلقٍ بالفاحشاتِ، ولا فتكي بمأمونِ

فاللسان وضع في فم الإنسان ليكون أداة ذبّ عن الأخلاق والمحارم والأمة، فهو يبني ولا يهدم... وكان الجاهليون قد أدركوا قيمة اللسان في خدمة قبائلهم ومجتمعهم، فأوقفوه على مصالحهما كما دافعوا بأنفسهم عنهما كما قال زهير في مدح هرم بن سنان، فهو فارس القوم يدفع عنهم الشر بيده ولسانه[٥٨]:

ومِدْرَهُ حَرْبٍ حَمْيُها يُتَّقَى بهِ شديدُ الرِّجَامِ باللسان وباليدِ

وهاهو ذا لبيد بن ربيعة يتغنى لسانه بمآثر قومه، ويجعله في المقام الشديد كالنبل الذي يرشق به أعداءهم فيقول[٥٩]:

ومقامٍ ضَيِّقٍ فَرَّجْتُهُ بمقامي ولساني وجَدَلْ

إذ دعتني عامر أنصرها فالتقى الألسن كالنَّبْل الدُّوَلْ

وكلنا يعرف أن الشعراء صاروا سفراء قومهم يدفعون عنهم كل أذى كما نجده في رحلة النابغة إلى الغساسنة ومدحهم لتخليص أسرى قومه، وحباهم به كما يقول[٦٠]:

حَبَوتُ بها غسَّانَ إذ كنتُ لاحقاً بقومي، وإذ أَعْيَتْ عليَّ مذاهبي

وظلت مهمة اللسان منوطة بالدفاع عن القيم والفضائل في صدر الإسلام، وشجع الرسول الكريم ﷺ شعراء الإسلام على الدفاع عن الدين والمسلمين، فصار الشعر سلاحاً من أسلحة الدعوة الإسلامية. وغدا لسان حسان أشد وقعاً على المشركين من بقية شعراء الدعوة، وكان الرسول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يستنشده ويطيل الاستماع إليه ثم يقول: «لهذا أشد عليهم من وقع النبل»[٦١]، وطفق حسان يفتخر بلسانه فيقول[٦٢]:

لساني صارم لا عَيْبَ فيهِ وبَحْري لا تكدِّرُهُ الدِّلاءُ

ويرى أنه حين وضع لسانه في مدح الرسول والمسلمين لم يكن مخطئاً فقد وضعه في الموضع الصحيح فيقول في مدح الرسول وقومه[٦٣]:

أَهْدى لهم مِدَحِي قلبٌ يؤازرُه فيما يُحِبُّ لسانٌ حائكٌ صَنَعُ

فإنهم أفضلُ الأحياءِ كلّهِمُ إنْ جَدَّ بالناس جِدُّ القول أو سمعوا

وكل من أساء بحق الرسول والمسلمين رجع عن غيه بعد أن سدر فيه إلى وقت معلوم، فلما تبين خطأه عاد فاعتذر عما فرط منه، وجعل لسانه يرتق ما فتقه وأفسده من قبل كما نراه في اعتذار عبد الله بن الزِّبعرى للرسول الكريم؛ فقال[٦٤]:

يا رسولَ المَليكِ إنَّ لساني راتقٌ ما فَتَقْتُ إذ أنا بُورُ

وبناء على ما تقدم يصبح لزاماً على كل فرد منا ألا يرمي بكلامه كيفما اتفق، وكأنه الأعمى الذي لا يدري كيف يمشي كما قال طرفة[٦٥]:

إذا قُلْتَ، فاعلم ما تقولُ ولا تَقُلْ وأنتَ عَمٍ لم تَدرِ كيف تقولُ

فنحن بحاجة إلى ألسنة فعالة بالخير، معبرة عن الفكر الخلاّق المبدع، منطلقة باللغة الشريفة إلى آفاق الحياة، متوخية الإصابة تبعاً لكل مقام، وكل حال... مما تجعلنا نثني عليها وتفرض علينا احترامها والثقة بها كما أثنى كثير عزة على لسان مرثيه أبي بكر[٦٦]:

نَمَتْ لأبي بكرٍ لسانٌ تتابعَتْ بعارِفَةٍ منه فخصَّتْ وعمَّتِ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وإذا كنا لا ننكر وجود الألسنة البناءة في حياتنا، والألسنة التي تعتذر عن زلاتها؛ فإنها تظل قليلة بالقياس إلى الألسنة الثرثارة المخادعة والمنافقة التي طغت على حياتنا... وهنا نذكّر بالأقسام الثلاثة للسان؛ لسان «ساكت وسالم، وشاجب، فالسالم من قال الخير؛ والشاجب من قال سوءاً فهلك»[٦٧]، والساكت من سلم بسكوته. ولكننا لا نرى إلا اللسان الشاجب أو نصادفه في مؤسساتنا العلمية والثقافية كأنه مخاريق لاعب. وأمثاله كثيرة همها النميمة والنقيق دون حاجة تذكر إلا شهوة أصحابها للكلام... وفضول أعينها لاستراق النظر فانطبق عليها المثل: «ربَّ عينٍ أَنَمّ من لسان»[٦٨].

فهذه الألسنة الثرثارة لا تزيد حياتنا إلا أعباء جديدة؛ بفضل منطقها الفاسد ولَغْوها الباطل، وكان صمتُ أصحابها أحسنَ لهم، كقول يحيى بن زياد[٦٩]:

الصمْتُ خيرٌ للفتى ... من مَنْطقٍ خَطِلٍ يَشينُهْ

وإني لأشفق من هؤلاء على المرأة التي اتهمت منذ القديم بثرثرة لسانها في البيت وعند الأبواب... وكان حميد بن ثور قد نزّه صاحبته عمّا تفعله الموصوفة بالثرثرة فقال[٧٠]:

وليسَتْ من اللائي يكون حديثُها ... أمامَ بيوت الحي: إنَّ، وإنَّما

أحاديثُ لم يُعْقبنَ شيئاً وإنَّما ... فَرَت كَذِباً بالأمس قيلاً مُرَجَّمَا

ونحن لا ننكر أن لسان المرأة قد يسبق عقلها؛ ولا سيما إذا نافرت زوجها كما وقع لكعب بن زهير مع زوجه[٧١]:

بكرَتْ عليَّ بسُحْرةٍ تَلْحاني ... وكَفَى بها جَهْلاً وطَيْشَ لسانِ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكننا ننكر طيش لسان كثير من مثقفي اليوم الذين يهرفون بما لا يعرفون؛ ويعزفون كلامهم على قيثارة مُنَفّرة، فألسنتهم خواء، وأفئدتهم هواء، وثرثرتهم حمقاء.

وما أحسن ما قال الشاعر ابن الدُّمَيْنة في هذا المقام[٧٢]:

وإن لساناً لم تُعِنْه لُبَانة كحاطبِ ليلٍ يجمعُ الرَّذْلَ حاطبُهْ

ومهما يكن أثر هذه الألسنة الثرثارة في المجتمع، والمعرفة؛ فهي ألسنة مكشوفة لا تضرّ إلا أصحابها؛ وتبقى نكبة الأمة في خسارتها لجهد ضائع... ولكن الداهية الأعظم تكمن في الألسنة البليغة الفصيحة المثقفة... التي تَسَلَّحت على أطوار التاريخ بفنون القول والمعرفة... وأساليب التسلق والنفاق والتملق،... والكذب والافتراء.

وازداد انحراف خُلُق هؤلاء حين تنكروا لقيم الأمة وثقافتها... ومنهم من أصبح تابعاً لثقافة الآخر فينطق بلسانها ولغتها وعاداتها...

فهذه الألسنة قادرة على النفاذ إلى نفوس الناس وتخريبها؛ والتأثير فيها بمعسول الكلام ودماثة التصرف... ولاسيما أن حلاوة الألسنة وجاذبيتها جزء من دلالة (العَذَبة) في اللسان وهي طرفه، وحِدَّتها جزء من (أَسَلَته) وهي آخر الطرف الدقيق في اللسان؛ علماً بأن الأَسَل (الرماحُ)[٧٣].أما عَكَدتُه وعَكَرته فهي جذره وأصله الغليظ... فكأن اللسان عضو فيه صورة الدماثة وفيه صورة الكزازة والغلظة والافتراء... ولكل من اسمه نصيب...

فالألسنة المفترية المتلونة تزيف القيم وتهاجم أخلاق الناس... فتنبح عليهم لسبب أو دون سبب فأفواهها مفتوحة أبداً بالأذى[٧٤]. وهذا ما نراه في قول النابغة حين استمد من صورة الكلب اللاهث النابح الذي لا يرد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لسانه إلى فمه صورة للسانه الذي طال به النعمان[٧٥]:

سأَكْعَمُ كَلْبي أَنْ يَرِيبك نَبْحُه وإنْ كنتُ أَرعى مُسْحلانِ فَحامرا

وكانت صورة الكلاب قد ارتبطت عند الجاهليين بالهجاء وغيره من أغراض الشعر[٧٦]؛ ومن ثم ارتبطت بصورة الشعراء حتى قال فيهم عمرو ابن كلثوم، وكان مادحاً إياهم في الدفاع عن قبائلهم فقال[٧٧]:

وقد هَرَّت كلابُ الحيّ منا وشَذَّبْنَا قتادَةَ مَنْ يلينا

فألسنة كثير من أبناء اليوم أحلى من التمر[٧٨]، ولكنها تخفي في صدورها سماً قاتلاً من النفاق، وأصحابها ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾[٧٩]. وقد عظمت رقتهم عند ذوي الجاه والسلطان؛ لما تصفه ألسنتهم... وحينما تبدل الحال بذي الجاه والسلطان؛ وذهب الخوف منهما عادوا إلى فطرتهم؛ وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿فإذا ذهب الخوفُ سلقوكم بأَلْسنة حداد﴾[٨٠]، فكل افتراء ونفاق جزاء أصحابه النار؛ لقوله تعالى: ﴿وتصف ألسنتهم الكذب، أنَّ لهم الحُسْنى، لا جَرَمَ أن لهم النار﴾[٨١]. وأكثر ما خوّفنا الرسول الكريم من هؤلاء في قوله: «أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان»[٨٢].

إننا حين نرى أمثال هؤلاء ونرى في وجوههم الاستبشار نُخدع بهم بينما هم في الحقيقة يبسطون إلينا الأذى، ويرغبون في أن نكون مثلهم؛ لقوله تعالى: ﴿ويَبْسُطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء، وودُّوا لو تكفرون﴾[٨٣].

ونعتقد بأن أمثال هؤلاء قد يخدعون الناس بعض الوقت، بيد أنهم لن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يستطيعوا أن يخدعوهم كل الوقت، وما يخدعون إلا أنفسهم، فاللسان دليل على عورات صاحبه مهما تصنَّع فيه واستتر وراءه، كقول طرفة بن العبد(٨٤):

وإن لسانَ المرءِ ما لم تكنْ له حَصَاةٌ، على عَوراته لدليلُ

ونقول لهم منذرين وناهين لهم عن أَفْعالهم ما قاله قَسَاس الكِنديّ لأبي هُنَي(٨٥):

ألا أبلغْ لديكَ أَبا هُنَيّ أَلا تَنهَى لسانَكَ عن رَداها؟!!

وفي هذا المقام أثبت الحديث الشريف الذي تضمن كثيراً من تلك المعاني: «ليس البيان كثرة الكلام، ولكن فَضْل فيما يحب الله ورسوله، وليس العي عي اللسان، ولكن قلة المعرفة بالحق»(٨٦).

وقد يقول قائل: أطلت الحديث عن ألسنة النفاق والافتراء بعد أن تحدثت عن الألسنة الثرثارة... فللسان وظائف أخرى غير الوظائف السابقة كلها... فهو يؤدي في الحياة المادية خدمة كبرى؛ فهو أداة التذوق للأطعمة، وعضو الاستساغة للأشربة... فاللسان يلذ الطعم الجميل الحلو ويمج الكريه...

وهنا يدعوني موقف الحال في رؤيتي للواقع أن أتحدث عن حالتين بإيجاز شديد؛ وفي باب التندّر والتوجيه... ويظهر لي أن اللسان هذه الجارحة التذوقية قد فقدت وظيفتها عند الفقراء والمحتاجين؛ وليس هذا من قبيل فَقْدهم لحساسية التذوق في الطعام والشراب؛ ولكن لِما هم عليه من واقع اقتصادي متردٍ. فاستوى لديهم تذوق اللغة بتذوق الطعام واستساغة الشراب... ولم يعودوا يقيمون لعضو التذوق أي وزن. فهم يعبرون عن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حاجاتهم ومشاعرهم بطرائقهم الخاصة؛ ويأكلون كل ما يصل إلى أيديهم أيّاً كان مذاقه، ويشربون الماء كَدراً أو صفواً على السواء... فهدفهم البقاء أحياء ليس غير.

وحين أفقدت الحياةُ الفقراء والمحتاجين حاسة التذوق من جارحة الفم وعضو النطق مرغمين فإنها أرهفتها عند الأغنياء والمترفين الذين أتخمتهم لذائذ الطعام وأنواعها وكثرتها. ولهذا طفقوا يتفننون في إقامة الولائم؛ ودعوة ذوي السلطان إليها لمآرب في أنفسهم... وفيهم يصدق قول الرسول الكريم: «سيكون رجالٌ من أُمَّتي يأكلون ألوان الطعام، ويشربون ألوان الشراب، ويلبسون ألوان الثياب، ويتشدقون في الكلام، فأولئك شرار أمتي»(٨٧).

فهؤلاء نسُوا قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا؛ إنه لا يحب المسرفين﴾(٨٨).

ولو كنتَ محظوظاً وهُيئَ لك أن تدخل إلى إحدى ولائمهم لأدهشتك أنواع الأطباق وألوانها وأحجامها، قبل أن يبهرك ما مُلئت به مما لذَّ وطاب... ولخَلب فؤادك حجم البساط أو الطاولة التي اتسعت لهذا الطعام وتلك الأشربة التي زاحمته من الشرق والغرب، ومن كل صنف ونوع... وهنا نتذكر مقولة ابن حمديس في طيب ريق صاحبته وحلاوته؛ فكأن شهده مزج بشهد كل لسان فقال(٨٩):

وكأنها ظنت حلاوةَ مائها شَهْداً فذاقتْهُ بكُلِّ لسانِ

ولشدة افتراء هؤلاء فقد استجلبوا الألسنة الذوَّاقة من كل مكان؛ فضلاً عن ألسنتهم خشية ألا يرضي مذاق طعامهم من دُعي إليه.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى الكؤوس الملأى بالشراب؛ فهي لصفائها وحسن صنعتها وجمالها تريك شرابها ورغوته أشبه بلعاب الأفاعي... وقد أجاد أبو نواس حين صور لنا ذلك بقوله(٩٠):

ويُبدي لنا من جَوْفها مَسُّ مَزْجِها كألسنةِ الحيَّاتِ تبدو منَ الذُّعْرِ

وما إن يصدر القوم عن مواضع الطعام والشراب حتى تسمع ألسنتهم التي تلوك الكلام فلا يبين وقد أثقلها الشراب، فضلاً عن ذهاب عقول أصحابها كما قال امرؤ القيس في أمثالهم من شاربي الخمرة(٩١):

وكأنَّ شاربَها أصابَ لسانَه مُومٌ يخالط جِسْمَهُ بسَقَامِ

فقد طفق أولئك القوم يشربون من كل كأس حتى فقدت ألسنتهم رهافة الذوق؛ فأقبلوا على كل شراب ممجوج وأنغام المغنين ترن في آذانهم، وتلوي خصور الحسان تراقص نظرات عيونهم؛ كما قال أبو نواس في وصف غلامه الذي صرف عنه الكأس وقد أخذ الشراب عقله، وأدركه ثقل اللسان(٩٢):

صَرَفْتُ الكأسَ عنه حين غَنَّى وأَنَّ لسانه منها ثَقيلُ

ومن ثم فإنني أشفقت على نفسي من أمثال هؤلاء ومن ألسنتهم، كما أشفقت على حياتنا من عبثهم، وكأنهم ضَلُّوا عن صورة الحق وتجاهلوا أن الإنسان مميز بالنطق، والألسنة ستكون شاهدة يوم لا ينفع ندم؛ لقوله تعالى: ﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾(٩٣).

ولن يستطيع المرء أن يحيط بما قيل في اللسان وجمالياته في الحياة، وما يقع فيه من زيغ النفس الأسيرة لشهواتها... ولهذا يوصينا النبي خيراً بهذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللسان؛ فهو الدليل الأول والأخير على أعضاء ابن آدم كلها: «إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفِّرُ اللسان. فتقول: اتق الله فينا، فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا؛ وإن اعوججت اعوججنا»(٩٤). والمرء حيث يجعل نفسه ولسانه، والمرء حقاً بأصغريه قلبه ولسانه والجسم خَلْق مُصَوّر.

هكذا تبين لنا بما لا يقبل الشك أن «جمالية اللسان في اللغة والحياة» إنما بحث للسعي وراء إبراز التقدير والتذوق للسان وربطه بالوجود الاجتماعي والإنساني قديماً وحديثاً... لنصل إلى مفهوم (هيجل) في علم الجمال؛ ومفاده أنه «فلسفة الفن الجميل؛ إنه فلسفة للوعي الجمالي، وفلسفة للقدرة على الإبداع الأكثر صدقاً وجمالاً؛ فلسفة للتذوق الأكثر قدرة على الاستيعاب»(٩٥).

فالبحث مؤسس على دراسة اللسان في معانيه الدالة على معطيات الفكر والحياة؛ وارتباطها بالتصرفات الإنسانية؛ وللوصول به إلى أنه قيمة نقدية... وهذا النمط من الدراسات يعد في طليعة الدراسات الألسنية اليوم. فالدراسات الألسنية ليست قاصرة على دراسة اللهجات وتاريخها، ودراسة الأصوات وطبيعتها، واختلاف نبرتها واختفاء أنماط منها... فاللسان «أداة للاتصال تُحلَّلُ الخبرة الإنسانية من خلالها بطريقة تختلف من لسان إلى آخر في كل مُتَّحد اجتماعي»(٩٦). فأي لسان مهما كان جنسه وانتماؤه إنما يشكل وحدات ذات مضمون دلالي وذات تعبير صوتي... وقد اقتصرنا على المفهوم الدلالي، أو ما سمي بعلم الدلالة(٩٧).

وكنا في ذلك كله لا نصدر عن انفعال عابر، وإنما كان البحث معنياً بالمسائل المشتركة بين اللغة والأدب والتراث والواقع ليوجد عنصراً جوهرياً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فاعلاً بين الماضي والحاضر؛ وليربط بين مفهوم علم الجمال ومفهوم النقد التطبيقي دون أن يملي شروطاً معينة؛ وليرسي مفهوم الجمال في اللغة والحياة لألسنة الناس... وهذا ما شددت عليه الأحاديث الشريفة من قبل؛ وليس للإنسان إلا ما سعى؛ والله من وراء القصد.

الحواشي

(١) سورة الروم ٢٢/٣٠.

(٢) سورة إبراهيم ٤/١٤. واللسان في الآية يعني اللغة، في الوقت الذي يدل على اللهجة.

(٣) ديوان أبي نواس ٥٠٠.

(٤) ديوان المتنبي ٣٨٥/٣، والتراجم: جمع ترجمان.

(٥) ديوان حميد بن ثور ١١٣ وانظر ديوان طرفة بن العبد ١٣٩ بيت ٢٣ و١٧٩ بيت ١٥.

(٦) سورة الشعراء ١٩٢/٢٦-١٩٥.

(٧) سؤالات نافع بن الأزرق ٥.

(٨) شرح ديوان كعب بن زهير ١٩٠ وانظر ديوان النابغة الذبياني ١١٢.

(٩) جمهرة أشعار العرب ٥٦٨.

(١٠) اللسان (لسن) وانظر المفضليات ٢٣٥ ق ٥٢ وشعر زيد الخيل ١٤٢.

(١١) سورة الدخان ٥٨/٤٤.

(١٢) ديوان الحطيئة ١٩٧. والعِكْمُ: وعاء كالجوالق يتخذ لحفظ حاجات المرأة.

(١٣) ديوان طرفة بن العبد ٦٠. الموهون: الضعيف. فَقِر: ضَعيف فِقار الظهر،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو كناية عن ضعف النفس وعدم احتمال الأذى.

(١٤) ديوان عدي بن زيد ٥٣. العم؛ – هنا –: الحي. الأبدال: الشرفاء والكرماء. الأغمار: الجاهلون.

(١٥) خَلْق الإنسان ١٨٩.

(١٦) ديوان حسان بن ثابت ١٣٢.

(١٧) ديوان العجاج ٢٨٩/١ وانظر فيه ٢٥٠ والمرحل: الرحيل، وانظر المفرد العلم ٤٤ وفيه عن ضَمْرَة بن ضَمرة: ((المرء بأصغريه؛ قلبه ولسانه وأنشد قول الشاعر:

وما المرء إلا الأصغران فقلبه ومِقولُهُ، والجسم خَلْقٌ مُصَوَّرُ

وانظر فيه ٧٣ وانظر الأغاني ١٣٧/٤ في قول حسان.

(١٨) الجامع الصغير من أحاديث البشير (رقم ٩٠٨٣) وانظر (رقم ١٤٣٣) وخلق الإنسان ١٨٧.

(١٩و٢٠) خلق الإنسان ١٨٦. الخَرِق: السمح الكريم.

(٢١) ديوان الحارث بن حلزة ٢٤.

(٢٢) انظر خلق الإنسان ١٨٢.

(٢٣) ديوان النابغة الذبياني ١١٣.

(٢٤) انظر خلق الإنسان ١٨٢- ١٨٣ ومجالس ثعلب ٤٢٩.

(٢٥) ديوان أبي نواس ٢٥. كم لقي الناث... : أي كم لقي الناس من الناس.

(٢٦) حماسة البحتري ٣٦٧ وانظر شرح شعر زهير بن أبي سلمى ١٥٣. وفي مقام ذكر (العيي) فقد وصف الشعراء أطلالهم بالعي، وهو معروف في أشعار الجاهليين خاصة؛ انظر مثلاً: ديوان النابغة الذبياني ١٤ وشرح شعر زهير ١٦١ وديوان بشر ١٠٩ (لم تستطع الإجابة) وكذا فيه ١٣٨.

(٢٧) ديوان حميد بن ثور ١١٧ واللَّقْم: سرعة الأكل والمبادرة إليه. وانظر – مثلاً –: شرح ديوان كعب ٦٠.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٢٨) ديوان حسان بن ثابت ٣٢٩ والخنا: الفحش. وقال طرفة في صفة الأطلال ووصفها بالخَرَس (الديوان ١٦٤):

هل بالديار الغَداةَ من خَرَسِ أم هل برَبْع الجميعِ من أَنَسِ

(٢٩) ديوان أبي نواس ٧٤. وعميِّت: مبالغة من العمى. وسِكِّيت: مبالغة من السكوت. وانظر ديوان امرؤ القيس ١٠٥.

(٣٠) ديوان حسان بن ثابت ٣٠٠.

(٣١) شعر ربيعة الرقي ٦٠ وهو في الأغاني ٢٥٤/١٦ وقال زهير في اللَّفَف (شرح شعر زهير ٢٦١):

قد أورث السيرَ وقْراً في مسامعه وفي اللسان إذا استفهمته لَفَفا

الأَرَت من الرجال: الذي في لسانه عُقْدة وحُبْسَه، ويعجل في كلامه فلا يطاوعه، يقال: في لسانه رُتة (المغرب: رتت)، ومثله اللجلجة؛ ولجلج الشيء في فيه: أداره؛ كقول زهير بن أبي سلمى:

ومستنبهٍ من نومهِ قد أجابني بَرجْعَيْنِ من ثِنْيَي لسانٍ مُلَجْلِجِ

انظر شرح شعر زهير ٢٣٧ واللسان – لجج.

(٣٢) سورة طه ٢٧/٢٠.

(٣٣) ديوان حسان بن ثابت ١٣٢. شعث: ترخيم شعثاء، وهي امرأة كان يذكرها في شعره، قيل: إنها زوجته من بني خزاعة، انظر ديوان حسان ٧١ حاشية (٦).

(٣٤) انظر اللسان – رتج.

(٣٥) الأغاني ٢٦٣/١٤ وانظر كتابنا: قراءات في أدب العصر الأموي ٤١٩، وافتخر عمرو بن كلثوم بفصاحة أبيه وبلاغته في الخطابة؛ حين يعيى الفُصحاء (الديوان ١١٢):

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأبي الذي حمل المئين وناطقُ الـ ـمعروف إذْ عيَّ الخطيبُ المِفْصَلا

وانظر ديوان أوس بن حجر ١٠٢.

(٣٦) مجموع أشعار العرب ١٨٦ وانظر مثلاً: ديوان عنترة ٢٦٨.

(٣٧) ديوان امرئ القيس ٢٥٥ وانظر ديوان النابغة ٢٠٢ وديوان عنترة ١٨٢ والمفضليات ٣٧٣.

(٣٨) ديوان العجاج ٣٣١/٢.

(٣٩) الشعر والشعراء ٧٦٧/٢.

(٤٠و٤١) انظر البحوث المعاصرة في اللهجات العربية ١٠.

(٤٢) مجمع الأمثال ١٨٨/٢.

(٤٣) مجمع الأمثال ٢٦٥/٢.

(٤٤) نوادر المخطوطات /مجلد٢/ ٢٧٥.

(٤٥) حماسة البحتري ٣٦٧ وانظر ديوان عنترة ٢٩٥.

(٤٦) سورة الشعراء ٨٤/٢٦.

(٤٧) انظر الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير (رقم ٣٥٩٩) وانظر فيه (رقم ٣٦٢٥ و٣٦٢٦ و٣٧٢٠).

(٤٨) شرح شعر زهير ٣٧. وانظر المفرد العلم ١٢٢.

(٤٩) سورة البلد ٨/٩٠-١٠.

(٥٠) ديوان امرئ القيس ٩٠.

(٥١) حماسة البحتري ٣٦٨.

(٥٢) الجامع الصغير – (٣٢١٩و٢٠٢) على ترتيب ورود الحديثين، وانظر فيه (رقم ٢٦٢ و١٦٥٢ و١٦٥٣ و١٧٥٠ و٣٢١٧-٣٢٢٠).

(٥٣) شرح شعر زهير ١١١.

(٥٤) ديوان امرئ القيس ١١٢ وانظر فيه ١٦٢.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٥٥) شرح ديوان لبيد ٣٢٨ وانظر شرح شعر زهير ١٥٣ و١٧٨ و٢٦٢ وديوان امرئ القيس ١٨٥ والمفضليات ١٦٠و٢٠١و٣٨٦.

(٥٦) شرح شعر زهير ٢٦٢ والعوارم: الشدائد وانظر ديوان طرفة ١٠٦ وديوان المتنبي ٢/٤٥.

(٥٧) المفضليات ١٦٠ وانظر ديوان عروة ٣٦ وطرفة ١٣٩ والنابغة ١١٢.

(٥٨) شرح شعر زهير ١٦٨ وانظر ديوان النابغة الذبياني ١٥١و١٦٨و١٧٤ وديوان عنترة ٢٩٥.

(٥٩) شرح ديوان لبيد ١٩٣ وانظر ديوان أوس بن حجر ١٢٣ والأعشى ٣٣٤و٣٦٤.

(٦٠) ديوان النابغة ٤٨.

(٦١) انظر الأغاني ٤/١٤٣ وانظر فيه أخبارً حسان كلها ١٣٤–وبعد.

(٦٢) ديوان حسان ٧٧.

(٦٣) ديوان حسان ٢٤٠.

(٦٤) شعر عبد الله بن الزبعرى ٣٦. والبور: الفساد.

(٦٥) ديوان طرفة ١٨٦.

(٦٦) ديوان كثير عزة ٦٤.

(٦٧) مجالس ثعلب ٣٩٥ وانظر الجامع الصغير (رقم ٢١٠٨).

(٦٨) مجمع الأمثال ١/٣١٤.

(٦٩) حماسة البحتري ٣٦٥ وانظر ديوان المتنبي ٢/٧.

(٧٠) ديوان حميد بن ثور ١٨. القيل: القول. المُرَجَّم: الذي لا يتحقق، وانظر مجموع أشعار العرب ١٤٤. وانظر ديوان أوس بن حجر ١٤.

(٧١) شرح ديوان كعب بن زهير ٢١٣. تلحاني: تسبني وتشتمني. وانظر ديوان حاتم الطائي ٢١٧ فقد جعلت امرأته لسانها مبرداً عليه فقال:

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أَعـــاذِلَ لا آلُـــوكِ إلاّ خليقـــتي فـلا تجعلـي فوقـي لسـانَكِ مِـبْرَدا

(٧٢) حماسة البحتري ٣٦٧. اللبانة: العقل. وانظر الجامع الصغير (رقم ٤٨٦١). ومن أحسن ما قيل في ذلك المقام قول طرفة (الديوان ٢٠٣):

وفي الكـلام كـلامٌ مـا نطقْـتُ بـه إلا نَدِمـتُ عليـه حـين أُبديـهِ

وإن ندِمـتُ؛ فـإني لسـت أُرجعـه وكيـف أرجعـه، والريـح تَذْريـهِ؟!

(٧٣) انظر خلق الإنسان ١٨١ واللسان (أسل).

(٧٤) انظر مثلاً ما قيل في مثل تلك الألسنة من الشعر القديم، وكيف تصدى الشعراء لها، كقول زهير (شرح شعر زهير ٧٨) فمن يتعرض له بلسانه فإنه سيعرق لحمه عن عظمه:

أَكـفُّ لسـاني عـن صديقـي وإن أُجـأْ إليـه فـإني عـارق كـل معـرق

وانظر شرح ديوان لبيد ٣٢٨ والمفضليات ٢٠١ ق٤٠ و٣٨٦ ق ١١٧وديوان بشر ٤٢.

(٧٥) ديوان النابغة الذبياني ٦٩. سأكعم كلبي: أي سأكف لساني. مسحلان وحامر: موضعان. وانظر كتابنا (مشهد الحيوان في القصيدة الجاهلية ٢٥٢).

(٧٦) انظر كتابينا (الحيوان في الشعر الجاهلي ١٦٣ ومشهد الحيوان في القصيدة الجاهلية ٢٥٠).

(٧٧) شرح القصائد السبع الطوال ٣٩٠. شذبنا: فرّقنا. القتادة: شجرة لها شوك، فإذا مُسَّت هاجت لشدة شوكها. وانظر الحيوان في الشعر الجاهلي ١٦٣ (حاشية ٢و٣)، وانظر ديوان الأعشى ٦٢.

(٧٨) انظر ديوان طرفة بن العبد ١٧٨-١٧٩ فيما حكاه عن أصحاب تلك الألسنة المخادعة الكاذبة؛ ومجمع الأمثال ١٥٣/٢ وديوان أوس بن حجر ٥١ و٩٢ و١٠١ وديوان الأعشى ٨١.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٧٩) سورة الفتح ١١/٤٨ وانظر الجامع الصغير (رقم ١٧٥٣) وقال طرفة فيهم: (الديوان ١٧٩)

قلوبُ الذئاب الضارياتِ قلوبُهم وألْسُنُهم أحلى الذي أنت ذائقُهْ

فلستُ إليهم ما حييتُ براغبٍ ولا خَيْرَ في حُبِّ امرئٍ لا تطابقُهْ

وانظر ديوان الأعشى ٣٩١–٣٩٢.

(٨٠) سورة الأحزاب ١٩/٣٣. وقال طرفة (الديوان ١٧٩):

إذا ما رأى الدنيا علي تهلَّلَتْ بإقبالها يوماً صفت لي خلائقُهْ

وإن آل خَطْبٌ أو ألَمَّت مُخِلَّةٌ أُوَصِّلُهُ فيها بدت لي صواعقُهْ

وصَرَّ بنابيه عليَّ تَغَيُّظاً وصَعَّد أنفاساً، كأني خانقُهْ

(٨١) سورة النحل ٦٢/١٦.

(٨٢) الجامع الصغير (رقم ٣٠٥) وانظر فيه (رقم ١٨٤٩ و٤٥٦٦ و٤٦٧٨) وقال طرفة (الديوان ١٧٨–١٧٩):

عَدوٌّ صديقٌ، عابسٌ، متبسِّمٌ يعاملني بالمكر حين أُوافِقُهْ

يجاملني جهراً، إذا ما لقيته وفي الصدر ما تهدا هَديراً شقاشِقُهْ

(٨٣) سورة الممتحنة ٢/٦٠.

(٨٤) ديوان طرفة ٨٥. الحَصَاة: العقل، وانظر فيه ٣٩.

(٨٥) اللسان (لسن)، وانظر ديوان طرفة ١٨٩.

(٨٦) الجامع الصغير (رقم ٧٥٧٢) وانظر ديوان أوس بن حجر ٨٢.

(٨٧) الجامع الصغير (رقم ٤٧٧٤) وانظر فيه (رقم ٤٧٧٦ و٤٨٥٩ و٤٨٦٠).

(٨٨) سورة الأعراف ٣١/٧.

(٨٩) المنتخب من أدب العرب ١٦٦/٣.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(٩٠) ديوان أبي نواس ١٢٣.

(٩١) ديوان امرئ القيس ١١٥.

(٩٢) ديوان أبي نواس ١٨٤.

(٩٣) سورة النور ٢٤/٢٤.

(٩٤) الجامع الصغير (رقم ٤٥٤).

(٩٥) دراسات في علم الجمال ٢٠.

(٩٦) وظيفة الألسن وديناميتها ٣٥ وبعد.

(٩٧) انظر وظيفة الألسن ٣٨ وبعد و٧٠ وبعد.

المصادر والمراجع

١- الأغاني – لأبي الفرج الأصفهاني – طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت – نسخة مصورة عن دار الكتب.

٢- البحوث المعاصرة في اللهجات العربية (رصد وتحليل وتقويم) – د. عبد العزيز مطر – قطر – ١٩٩٤م.

٣- الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير – للسيوطي – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – دار خدمات القرآن.

٤- جمهرة أشعار العرب – للخطابي – تحقيق علي محمد البجاوي – من فرائد التراث – د/ت.

٥- حماسة البحتري – ضبطه كمال مصطفى – المكتبة التجارية بمصر – ١٩٢٩م.

٦- الحيوان في الشعر الجاهلي – د. حسين جمعة – دار دانية بدمشق.

٧- خَلْق الإنسان – لأبي محمد اللغوي – تحقيق عبد الستار فراج – حكومة الكويت – ط٢ – ١٩٨٥م.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٨- دراسات في علم الجمال – تأليف مجاهد عبد المنعم مجاهد – عالم الكتب – بيروت ط٢ – ١٩٨٦م.

٩- ديوان الأعشى – ضبط د. محمد أحمد قاسم – المكتب الإسلامي – دمشق – ط١ – ١٩٩٤م.

١٠- ديوان امرئ القيس – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف بمصر – ط٣ – ١٩٦٩م.

١١- ديوان أوس بن حجر – تحقيق د. محمد يوسف نجم – دار صادر – بيروت – ط٣ – ١٩٧٩م.

١٢- ديوان بشر بن أبي حازم – تحقيق عزة حسن – مطبوعات وزارة الثقافة – دمشق – ١٩٦٠م.

١٣- ديوان الحارث بن حلزة – تحقيق د. إميل بديع يعقوب – دار الكتاب العربي – بيروت – ١٩٩١م.

١٤- ديوان حسان بن ثابت – تحقيق سيد حنفي حسنين – وزارة الثقافة – القاهرة – ١٩٧٤م.

١٥- ديوان الحطيئة – تحقيق د. نعمان طه – مكتبة الخانجي – القاهرة – ١٩٨٧م.

١٦-ديوان حميد بن ثور – تحقيق عبد العزيز الميمني – الدار القومية للطباعة – القاهرة – ١٩٦٥م.

١٧- ديوان شعر حاتم الطائي – تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال – مكتبة الخانجي بالقاهرة – ط٢- ١٩٩٠م.

١٨- ديوان طرفة بن العبد – تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق – ١٩٧٥م.

١٩- ديوان العجاج – تحقيق د. عبد الحفيظ السطلي – مكتبة أطلس –

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

دمشق – ١٩٧١م.

٢٠- ديوان عدي بن زيد – تحقيق محمد جبار المعيبد – وزارة الثقافة – بغداد ١٩٦٥م.

٢١-ديوان عروة بن الورد – حققه عبد المعين الملوحي – وزارة الثقافة – دمشق – ١٩٦٦م.

٢٢- ديوان عمرو بن كلثوم – صنعة د. علي أبو زيد – دار سعد الدين – دمشق – ١٩٩١م.

٢٣- ديوان عنترة – تحقيق محمد سعيد مولوي – المكتب الإسلامي – دمشق – ١٩٧٠م.

٢٤- ديوان كثير عزة – شرح قدري مايو – دار الجيل – بيروت – ١٩٩٥م.

٢٥- ديوان المتنبي – شرح العكبري – ضبط مصطفى السقا وزميليه – دار المعرفة – بيروت – د/ت.

٢٦- ديوان النابغة الذبياني – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف – القاهرة – ١٩٧٧م.

٢٧- ديوان أبي نواس – تحقيق أحمد الغزالي – نشر دار الكتاب العربي – بيروت -/

٢٨- سؤالات نافع بن الأزرق – نشر وتحقيق د. إبراهيم السامرائي – مطبعة المعارف – بغداد – ١٩٦٨م.

٢٩- شرح ديوان كعب بن زهير – الدار القومية للنشر والطباعة – القاهرة – ١٩٦٥م.

٣٠- شرح ديوان لبيد بن ربيعة – تحقيق د. إحسان عباس – حكومة الكويت – ١٩٨٤م.

٣١- شرح شعر زهير بن أبي سلمى – تحقيق د. فخر الدين قباوة – دار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الآفاق الجديدة – بيروت – ١٩٨٢م.

٣٢- شرح القصائد السبع الطوال – تحقيق عبد السلام هارون – دار المعارف بمصر – ١٩٩٣م.

٣٣- شعر ربيعة الرقي – صنعة زكي العاني – وزارة الثقافة – دمشق – ١٩٨٠م.

٣٤- شعر زيد الخيل الطائي – صنعة د. أحمد مختار البزرة – دار المأمون للتراث – دمشق – ١٩٨٨م.

٣٥- شعر عبد الله بن الزبعرى – تحقيق د. يحيى الجبوري – مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٩٨١م.

٣٦- الشعر والشعراء – تحقيق أحمد محمد شاكر – دار المعارف بمصر – ١٩٦٧م.

٣٧- طبقات فحول الشعراء لابن سلام – شرح محمود شاكر – مطبعة المدني – القاهرة –

٣٨- قراءات في أدب العصر الأموي – د. حسين جمعة – مطبعة دار المعارف – دمشق – ١٩٩٢م.

٣٩- اللسان (لسان العرب) – دار صادر – بيروت – د/ت.

٤٠- مجالس ثعلب – تحقيق عبد السلام هارون – دار المعارف بمصر – ط٤- ١٩٨٠م.

٤١- مجمع الأمثال للميداني – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – دار المعرفة للطباعة – بيروت.

٤٢- مجموع أشعار العرب – تصحيح وليم بن الورد – دار الآفاق الجديدة – بيروت – ١٩٧٩م.

٤٣- مشهد الحيوان في القصيدة الجاهلية – د. حسين جمعة – دار دانية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

للطباعة – دمشق – ١٩٩٠م.

٤٤- المفرد العلم في رسم القلم – تأليف أحمد الهاشمي – دار الكتب العلمية – بيروت – .

٤٥- المفضليات – للمفضل الضبي – تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون – دار المعارف بمصر – ١٩٧٦م.

٤٦- المنتخب من أدب العرب – جمعه أحمد الأسكندري وزملاؤه – المطبعة الأميرية بالقاهرة – ١٩٥١م.

٤٧- نوادر المخطوطات – تحقيق عبد السلام هارون – مطبعة البابي الحلبي – مصر – ط٢- ١٩٧٣م.

٤٨- وظيفة الألسن وديناميتها – أندريه مارتينيه – ترجمة نادر سراج – دار المنتخب العربي – بيروت – ط١ – ١٩٩٦م.

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net